وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي علي كافي تندوف

معهد اللغة والأدب العربي

قسـم: اللغة والأدب العربي التخصص: أدب جزائري

رقـم: .....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شـهـــادة مـــــاستر أكـــاديمي

بعنوان:

عنوان المذكرة :

الدلالات السياسية في الرواية الجزائرية الحديثة " رواية الرماد الذي غسل الماء " لعز الدين جلاوجي نموذجا .

إعداد الطالب: إشراف:

*عبدالمجيد جاعة د.حمدينة عبد الله

لجنة المناقشة:

أ.د رشيد شيبان	المركز الجامعي تندوف	رئيسا
د.حمدينة عبد الله	المركز الجامعي تندوف	مشرفا ومقررا
د.منوني نور الدين	المركز الجامعي تندوف	مناقشا

السنة الجامعية: 1441 /1442 هـ الموافق لـ2020/ 2021 م

الإهداء :

الإنسان في الحياة لم يعش بمعزل عن باقي البشر ..

وفي جميع مراحل الحياة هناك أناس يستحقون الشكر والمحبة ...

وأولى الناس بالشكر الوالدين الكريمين لما لهما من الفضل ما يبلغ عنان السماء ...

فوجودهما سبب للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ....

إلى زوجتي ورفيقة الكفاح في مسيرة حياتي ...

إلى ولدي محمد قرة عيني ...

إلى أخي محمد ...

إلى أصدقائي الذين هم بلسم الحياة وبهم تحلو الحياة...

أهدي هذا الجهد سائلا المولى عزوجل التوفيق والسداد

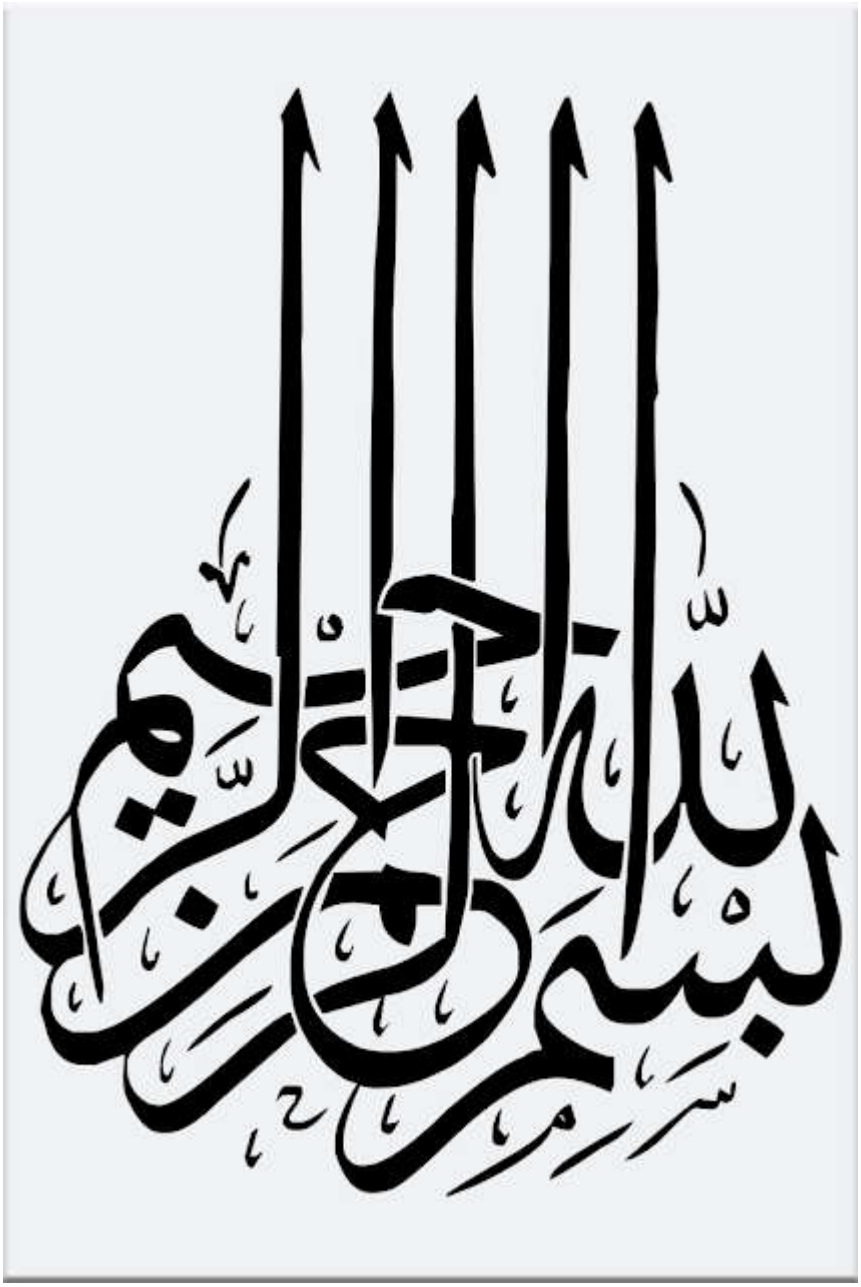
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

سعت الرواية الجزائرية المعاصرة إلى تجاوز القوالب المكرسة في الخطاب التقليدي ،وتجريب أشكال فنية جديدة تتغذى من تلك التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري في كافة المجالات مما سمح للروائيين الجزائريين لانخراط في مغامرة التجريب بما يعنيه من تجاوز وإختراق وإنزاح عن المألوف السردي ، وأصبحوا مسكونين بالتجديد و البحث المستمر عن أشكال فنية جديدة من أجل تغطية إشكالات الراهن و ملابساته ، يوظفون في كل تجربة إبداعية تقنيات فنية جديدة تختلف عن تلك التي وظفوها في أعمالهم السابقة ،ما جعل الرواية الجزائرية المعاصرة تحقق تطورا فنيا واضحا جعلها فضاء رحبا مفتوحا على مختلف المظاهر التجريبية ،ومادة خصبة للدراسة تتراءى فيها شروط النص منذ اللحظة التي يلتقط فيها القارئ خيوط السرد حيث بالرواية نفسها للمتلقي في توافق .

يرى الكثير من النقاد أن الأدب والسياسة عالمان منفصلان لا علاقة بينهما، وهذا بالطبع يشمل الرواية وهم يبنون رؤيتهم هذه على أساس أن الرواية هي عالم خيالي عاطفي يهتم بمشاعر الانسان ، في حين تعنى السياسة بالمواطن وهي عالم جاف وقاسٍ أيضا، وهي رؤية يرفضها أغلب المهتمين بالأدب بصورة عامة والأدب السياسي والمشتغلين به بصورة خاصة، بل وحتى كتاب الأدب بأنواعه الأخرى، إذ لا تخلو أنواع الرواية الاخرى مثل الرواية الكوميدية، التاريخية، روايات الحروب، والروايات الاجتماعية وحتى الروايات العاطفية من تفاصيل سياسية بشكل مباشر أو غير مباشر.

المفكر والناقد الإنجليزي تيري إيغلتون يرى أن هناك علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة وقد يصل الأمر بمكان الى صعوبة فك العلاقة بين الاثنين ، وعلى هذا الأساس ظهر مفوهما (تسيس الأدب) الذي يتناول تأثير السياسة على الأدب و(تأديب السياسة)، الذي يناقش تأثير الأدب على السياسة.

كما ناقش إيغلتون في كتابه (نظرية الأدب) العلاقة بين الأدب والآيديولوجيا التي حلت محل الدين بعد عصر النهضة الصناعية حين كان الأدب والفكر من أهم روافده، واستعرض نشوء الأدب الإنجليزي وتطوره، وأوضح إيغلتون الفرق بين الأدب "التخيلي" الذي ساد المرحلة الرومانسية والأدب الذي صبغ المرحلة اللاحقة التي كانت مرحلة ثورات وانتهت إلى تشكل الإمبراطورية الرأسمالية الصناعية وانتزاع الطبقة الوسطى للسلطة السياسية من أيدي الكولونياليين والإقطاعيين.

ورافق ذلك أن أصبح الأدب آيديولوجيا وغدا قوة سياسية رأس مالية ، ووجد الكتاب الرومانسيون أنفسهم شيئا فشيئا على هامش المجتمع، وتم حرمانهم من تبوُّؤ أي مكانة لائقة ضمن الحركات الاجتماعية التي استطاعت أن تحول الرأسمالية الصناعية إلى مجتمع جديد .

الجديد ، فهو وقد أشار إيغلتون إلى أن الأدب أصبح المرشح المناسب من نواح عديدة للمشروع الآيديولوجي كمسعى ليبرالي وانساني يمكنه أن يقدم ترياقا فعالا ضد التعصب السياسي والتطرف الآيديولوجي، فالأدب يمتلك القدرة على تشكيل فكر المتلقي برغبة وارادة كاملتين، في حين أن السياسة تفرض ما تريده قسرا. ويرى إيغلتون أنه في حين يتحمل العلماء والفلاسفة والمنظرون السياسيون أعباء المساعي الخطابية الرتيبة الكئيبة، فإن الأدباء يحتلون مجال الشعور والتجربة الأعلى قيمة وتقديرا.

إن الرواية وإن كانت قد ارتبطت بالسياسة ولعبت دوراً معيناً في التغيير السياسي بنقدها للواقع الاجتماعي وكشفها بذور التحول الفكري والاقتصادي وتقديمها لشخصيات فنية تبشر بالثورة، أو تحلم بغد أفضل فإنها ليست "منشورا" سياسيا بأي حال من الأحوال، لأنها لا تحفل باليومي والعادي والمؤقت إلا بمقدار ما يتكرر ويصبح استثنائيا في استمراره، وهي إن كانت لا تستطيع أن تصنع ثورة أو أن تغير مجتمعا، فهذه ليست مهمتها ولا تقوى عليها، فإنها تعد أداة جيدة تجعلنا أكثر إحاطة بما يجرى في محيطنا الاجتماعي، وعلى حد قول الروائي جمال الغيطاني: "يجب أن نعترف أن الأدب لن يغير الواقع المرير الذي نعيشه، فالذي يغيره هو السياسة، لكن الأدب عنصر من عناصر تحريك هذا الواقع" وذلك من منطلق أن الأدب يبني مضمونه على الدوام من رؤية هي مزيج من الواقع والخيال .

فمن هنا يمكننا أن نطرح الاشكاليات التالية : هل الرواية الجزائرية أهتمت بالقضايا الاجتماعية والسياسية ؟ وكيف كانت الرواية في العشرية السوداء ؟ وهل تمكنت السياسة من فرض نفسها على الرواة الجزائريين ؟ وهل نجحت الرواية الجزائرية الحديثة في تشخيص الواقع ؟ وهل تمكنت الرواية الحديثة من إبراز الوجه الحقيقي للوضع الاجتماعي والسياسي ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على الخطة التالية :

في الفصل الأول : حياة الروائي وملامح عامة عن الرواية وقد قسمناه الى أربعة مباحث : المبحث الأول : التعريف بالروائي عز الدين جلاوجي حياته ، أعماله ، المبحث الثاني : الرواية الجزائرية بعد الاستقلال ،المبحث الثالث : التعريف بالرواية ، المبحث الرابع : ملخص عن الرواية .

وفي الفصل الثاني : الأبعاد الاجتماعية والسياسية في رواية الرماد الذي يغسل الماء وقسمناه أيضا إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : ماهية الرواية البوليسية ، المبحث الثاني : نماذج عن شخصيات من رواية الرماد الذي غسل الماء ، المبحث الثالث : الملامح والانعكاسات الاجتماعية في الرواية ، المبحث الرابع : الأبعاد والتجليات السياسية في الرواية .

الطالب : عبد المجيد جاعة

تندوف في : 15 ماي 2021 .

مدخل :

قد لا نبالغ إذا قلنا إن الرواية الجزائرية استطاعت على الرغم من العقبات العديدة التي اعترضت مسيرتها أن تقفز قفزات واسعة في عمرها القصير الذي لا يتجاوز نصف قرن، وأن تسير بخطى ثابتة نحو النضج، واحتلال مكانة مرموقة بين الأجناس الأدبية الأخرى، وأن تصنع لنفسها خصوصية صاغتها من خلال الموضوعات التي تناولتها، وخاصة من خلال رواية الأزمة .

حاولت الرواية الجزائرية الجديدة ، التعبير عن الأزمة ؛ دونما شك ستكون بمثابة المنعرج الكبير للكتابة الراهنة في الجزائر القائمة فعلا على محك التجربة والمعايشة والمعاناة ، والشهادة والاستشهاد ، والمعاينة للمشهد وللفزع الأكبر وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون هذا المشهد السردي خاليا من بعض الأسماء ، التي سبق لها وأن كانت رموزا لمشاهد ووقائع وفجائع سابقة .

إنّ نشأة الراوية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطني العربي، حيث لها جذور عربية و إسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمذاني و الحريري و الرسائل و الرحالات .

وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوا روائيا هو "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق" لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها "ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس " سنوات (1852م، 1878م، 1902م) ، تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسته مثلما تجسده نصوص: "غادة أم القرى" سنة 1947م لـ أحمد رضا حوحو، و" الطالب المنكوب "سنة 1951م لـ عبد المجيد الشافعي ،و" الحريق" سنة 1957م لـ نور الدين بوجدرة، و "صوت الغرام" سنة 1967م لـ محمد منيع،إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لـ عبد الحميد بن هدوقة .

لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينات، ودخلت الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال وانهزام، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعايشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه ب "أدب الأزمة"

إن الأدب الجزائري شأنه شأن الآداب العالمية انعكاس للراهن الحيني، مما يحدث من تحولات و تغيرات في المسارات التي تصنع التجربة و أفق الترقب في مسيرة الدولة الجزائرية، ولعلّ الغاية من هذا تكمن في الكشف عن العنف و الإرهاب الذي برز بشكل لافت في التسعينات، و قد أثر بوجه أو بآخر على النص الجزائري، ويعنى ذلك أنه ينطوي على متغيرات جديدة في مسار الإبداع الجزائري، و بخاصة في الجنس الروائي الذّي تجسده النصوص الإبداعية الروائية التي نتفق على تسميتها من البداية بـ"أدب المحنة"، والواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة وفرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية .

الفصل الأول : حياة الروائي وملامح عامة عن الرواية

المبحث الأول : التعريف بالروائي عز الدين جلاوجي حياته ، أعماله .

المبحث الثاني : الرواية الجزائرية بعد الاستقلال .

المبحث الثالث : التعريف بالرواية .

المبحث الرابع : ملخص عن الرواية .

الفصل الأول : حياة الروائي وملامح عامة عن الرواية .

المبحث الأول : التعريف بالروائي عز الدين جلاوجي حياته ، أعماله .

عز الدين جلاوجي :

أ / حياته :

أستاذ محاضر، دكتوراه أدب حديث ومعاصر، مهتم بالسرد والمسرح إبداعا ونقدا وتدريسا إضافة إلى الكتابة في النقد والشعر وأدب الطفل قصة ومسرحا .

من مدينة عين ولمان سطيف ولد عام 1962 بدأ نشاطه الأدبي في سن مبكرة وهو على مقاعد الثانوي ونشر أعماله الأولى في الثمانينيات من القرن الماضي عبر الصحف الوطنية والعربية، صدرت له مجموعته القصصية الأولى سنة 1994 بعنوان "لمن تهتف الحناجر؟" له حضور قوي في المشهد الثقافي والإبداعي فهو رئيس ربطة أهل القلم الثقافية الوطنية التي أسسها مع ثلة من أكاديمي ومبدعي الجزائر منذ 2001 ومؤسس وعضو المكتب الوطني لرابطة إبداع الثقافية الوطنية منذ 1991 حتى توقفها طواعية عن العمل وعضو الأمانة الوطنية لاتحاد الكتاب الجزائريين بين سنتي 2003 إلى 2008 .
له حضور قوي في المشهد الثقافي الوطني والعربي، أسس وأشرف وشارك في عشرات من الندوات والملتقيات داخل الوطن وخارجه، نشر عشرات البحوث المحكمة في مجلات وطنية وعربية، وأجريت معه عشرات الحوارات في كثير من المنابر الإعلامية في الجزائر والوطن العربي وخارجهما[1] .

ب / أعماله :

قدمت عن أعماله مئات الدراسات والرسائل الجامعية وطنيا وعربيا، منها أكثر من 30 رسالة دكتوراه وماجستير في الجزائر خاصة، وفي بلدان عربية عديدة وأيضا في فرنسا إسبانيا إيران تركيا ومصر منها: استراتيجية التناص في رواية سرادق الحلم والفجيعة، البنية الاستعارية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، البنية الزمكانية في رواية الرماد الذي غسل الماء، النص المسرحي للأطفال في الجزائر دراسة في البناء الفكري والتربوي لمسرحيات عزالدين جلاوجي، سيميائية النص الموازي في المسرح الجزائري الحديث مسرحيات عزالدين جلاوجي أنموذجا، بلاغة التقابل في روايات جلاوجي ، بنية الخطاب السردي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي، تأويل الخطاب الديني في رواية العشق المقدنس،

[1] موقع ديوان العرب، مقال عز الدين جلاوجي، 2011، 2021/04/16، 15:33.

تجليات الشعرية في الرواية الجزائرية روايات عزالدين جلاوجي أنموذجا، جماليات تلقي الرواية الجزائرية رواية سرادق الحلم والفجيعة أنموذجا، حركية النموذج العاملي واستراتيجيته في الخطاب الروائيرواية حائط المبكى لعز الدين جلاوجي أنموذجا، خطاب الوعي التاريخي في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، سيكولوجية الشخصية في مسرح الطفل بالجزائر، مسرحيات عز الدين جلاوجي أنموذجا، سيميائية العنوان في روايات عزا لدين جلاوجي، شعرية التناص في روايات عز الدين جلاوجي، شعرية السرد في روايات عزالدين جلاوجي، صورة الأرض في روايات عز الدين جلاوجي، مسرح الطفل في الجزائر مسرحيات عز الدين جلاوجي أنموذجا، الرؤية والبناء في روايات عزالدين جلاوجي، الصورة الفنية في سرديات عز الدين جلاوجي، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي ، تجليات الشعرية في روايات عز الدين جلاوجي، معا لم تجربة عز الدين جلاوجي في الكتابة المسرحية ...

يعمل على أن يؤسس لنفسه مشرعه الإبداعي الخاص من خلال جملة من المعا لم أهمها: الاشتغال على التجريب وعلى اللغة التي تشكل للكاتب هاجسا كبيرا، استحضار الموروث، التنوع في الأشكال التعبيرية، حيث ظل الأديب يحلق في عوا لم مختلفة ومتنوعة، كالنقد والقصة والمسرح والرواية والشعر وأدب الأطفال، الإيمان القوي برسالة الأدب المنحصرة في ثلاثية الخير والحب والجمال .
عمل على التأسيس لشكل جديد في الكتابة الإبداعية مصطلحا وتنظيرا ونصوصا، أطلق عليه "المسردية" كلمة منحوتة من المسرحية والسرد، وفيها أعاد كتابة النص المسرحي بطعم السرد، كما أسس لـ "مسرح اللحظة/ مسرحيات قصيرة جدا"، إيمانا منه أن الأدب العربي يجب أن يكون خالقا مبدعا فعالا لينتقل من مرحلة التقليد وردود الأفعال .

له أكثر من أربعين كتابا في فنون أدبية مختلفة:

الرواية : سرادق الحلم والفجيعة، الفراشات والغيلان، الرماد الذي غسل الماء، حوبه ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، العشق المقدنس، حائط المبكى، الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال .

القصة :لمن تهتف الحناجر؟ صهيل الحيرة، رحلة البنات إلى النار .

المسردية: البحث عن الشمس، الفجاج الشائكة، النخلة وسلطان المدينة، أحلام الغول الكبير، هستيريا

الدم، غنائية الحب والدم، حب بين الصخور، مملكة الغراب، الأقنعة المثقوبة، رحلة فداء، ملح وفرات، في قفص الاتهام، مسرح اللحظة، مسرديات قصيرة جدا[1] .

الدراسة النقدية:النص المسرحي في الأدب الجزائري، شطحات في عرس عازف الناي، الأمثال الشعبية الجزائرية، المسرحية الشعرية المغاربية، تيمة العنف بين المرجعية والحضور في المسرحية الشعرية المغاربية، أقانيم العنف في المسرحية الشعرية المغاربية، قبسات سردية "قراءة في المشهد السردي"، قبسات مسرحية "قراءة في المشهد المسرحي"، قبسات شعرية "قراءة في المشهد الشعري"، النقد الموضوعاتي "في نماذج تطبيقية".

السيناريوهات: الجثة الهاربة، حميمين الفايق، قطاف دانية ..

درس في كتب خاصة منها: سلطان النص مجموعة من الباحثين، تجربة جزائرية بعيون مغربية دراسات في روايات عزالدين جلاوجي مجموعة من الباحثين المغاربة، سيميولوجيا النص السردي. مقاربة سيميائة لرواية الفراشات والغيلان، الزبير ذويبي، مجلة الخطاب عدد خاص بأعمال اليوم الدراسي حول الأديب عزالدين جلاوجي، جامعة تيزي وزو 2012، من النص إلى التناص، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي أنموذجا، للباحثة ريمة جيدل، صورة الأرض في روايات عز الدين جلاوجي لجبالي مريم أنيسة، التواتر الروائي من نقد الأنساق إلى فاعيلة الاتساق الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال اختيارا الدكتور صفاء الدين أحمد فاضل ...

وفي كتب مشتركة مع أدباء آخرين منها: علامات في الإبداع الجزائري ل د. عبد الحميد هيمة، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد ل د. عبد القادر بن سالم، السيمة والنص السردي ل د. حسين فيلالي، بين ضفتين ل د. محمد صالح خرفي، محنة الكتابة ل د. محمد ساري، الأدب الجزائري الجديد ل د. جعفر يايوي، متون وهوامش ل د سليمة لوكام، المتخيل الروائي العربي الجسد الهوية الآخر ل د. إبراهيم الحجري...

عرفت بعض مسرحياته طريقها إلى الخشبة، منها: البحث عن الشمس، ملحمة أم الشهداء، سالم والشيطان، صابرة، غنائية أولاد عامر، قلعة الكرامة[2] .

---

[1] موقع ديوان العرب، مقال عز الدين جلاوجي، https://www.diwanalarab.com/2011، 2021/04/16، 15:33.

[2] موقع ديوان العرب، مقال عز الدين جلاوجي، https://www.diwanalarab.com/ 2011، 2021/04/16، 15:33.

المبحث الثاني :الرواية الجزائرية بعد الاستقلال .

لقد شكلت مرحلة السبعينات المرحلة الفعلية لظهور راوية فنية ناضجة، وذلك من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة في "ريح الجنوب"، و" وما لا تذره الرياح " لـ محمد عرعار، و "اللاز" و "الزلزال" لطاهر وطار، و بظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة إذ أن العقد الذي تلى الاستقلال مكن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية، وجعلهم يلجئون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته، سواء أكان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة، أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجديدة التي طرأت علي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

إنّ من سمات الرواية في هذه الفترة الشجاعة الطرح و المغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح فالقمع و الاضطهاد قد يدفع الكاتب إلى تبني مواقف ما كان ليتبناها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا.

إن الطابع السياسوي الذي انطبعت به النصوص الروائية في هذه الفترة لا يمنع الطرح الجذري الذي اتسمت به هذه النصوص الروائية و القائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة.

ولقد جاء هذا الطابع كحتمية لتركيبة ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة، وكل هذا تأتى لهم من خلال انخراطهم في السلك السياسي ومعايشتهم للحدث والمساهمة فيه، فالروائيون الأوائل كانوا من جيل الثورة و الاستقلال، ولذلك فقد تمتعوا بحصانة و تجربة في رصيدهم كما يقول أبو القاسم سعد الله: " رصيد الثورة و نضج سياسي و تجربة نضالية".

جعلهم الأمر يجمعون بين الإبداع والسياسة، فقد كان ابن هدوقة ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته، كذلك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير واشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال، وكان الطاهر وطار عضوا في جبهة التحرير إبان تأسيسها، كما أنه اشتغل بالسياسة و الصحافة التونسية، و بعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب.[1]

[1] شادية بن يحي، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، 2013.

وقد منح هذا الرصيد من التجربة السياسية هؤلاء الرواد بعدا سياسيا للرواية التي نشأت بين أيديهم، مثلا بن هدوقة أسهم براوياته في إثراء الحركة الروائية من حيث مواجه الحياة ومشاكلها و التعبير في قضايا المجتمع وطموحاته، و نشر الوعي السياسي، وتدعيم آمال الطبقة الكادحة.

كتب ابن هدوقة رواية "ربح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970م، مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدما و ازدهارا، ورفع البؤس و الشقاء عن الفلاح ومناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان و قد تكرس هذا الخطاب السياسي في قانون الثورة الزراعية الصادر رسميا في 08 نوفمبر 1971م.

هذا هو الجو الذي تنفست فيه "ريح الجنوب"، حيث جرت أحداثها في الريف بمنطقة تقترب من الهضاب العليا بين جنوب الوطن و شماله ، وهي حكاية بسيطة نواتها أب إقطاعي يدعى ابن القاضي يريد تزويج ابنته نفيسة لرئيس البلدية بغرض المحافظة على أملاكه من المشروع الجديد والمتمثل في الثورة الزراعية إلا أن ابنته رفضت ذلك، لقد ربط ابن هدوقة في هذه الرواية حرية المرأة بالتخلص من الإقطاعية في شكل معادلة متكاملة لا ينجح المشروع الجديد إلا بتحقق طرفيها فيقول: «لا يمكن أن تتحرر المرأة و الأرض بدون تغيير العلاقات الاجتماعية السائدة، فالإقطاع لا يتمثل في الماديات وحدها بل هو قبل كل شيء مواقف معينة».

و مهما يكن من أمر فإن الرواية بمحيطها وشخصياتها تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينات يتخبط في بحر من الهموم و المشاكل متأملا في تغيير جذري تجسد في المشروع الجديد المتمثل في الثورة الزراعية.

وفي رواية "نهاية الأمس" أعاد «بن هدوقة» طرح قضية الإقطاعية ووقوفها في وجه المشروع الإصلاحي، إذ صور لنا الروائي الصراع القائم بين البشير النموذج الإصلاحي و ابن صخري النموذج الإقطاعي فهي كما يقول محمد مصايف: " صراع بين نزعتين تمثل إحداهما الإقطاع و حب الاستغلال و الرغبة في إبقاء ما كان على ما كان وتمثل الآخرين و هي نزعة البشير و المتقدمين أمثاله العمل من أجل الصالح العام، ورفض كل أنواع الاستغلال والهيمنة و الرغبة المؤكدة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية الفاسدة في الريف الجزائري.

أمّا الطاهر و طار، فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغييرات و التطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، وقد كان للإغراءات الإيديولوجية و الفنية التي تميزت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطار تتسم بنوع من التلقائية و الرؤية الشمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد و أفكاره و أفعاله و الحياة بكل صراعاتها.

عاد في رواية اللاز إلى سنوات الثورة التحريرية مصورا لنا مرحلة من مراحلها، حيث حاول فيها البحث عن بذور الأسباب التي عرقلت مسيرة الثورة بعد الاستقلال مستغلا شخصيات الرواية في دفع الأحداث و تقديم رؤاه الاجتماعية و النضالية و الثورية و الإيديولوجية، فقد حفلت بالنقد للأوضاع و الأفكار و الشخصيات و المواقف التي يراها الكاتب من وجهة نظره غير سوية، وتعتبر شخصية اللاز الشخصية المحورية التي تتطور بتطور أحداث الرواية، حيث تتحول من شخصية عادية "اللاز بن مريانة" إلى رمز الشعب الجزائري بأكمله، فكما وجد اللاز ضالته في عثوره على أبيه زيدان الممثل الأساسي للإيديولوجية الشيوعية التي يزعم إعجاب الشعب الجزائري وتعلقه بها،كما وجد الشعب الجزائري ضالته في الفاتح من نوفمبر 1954م بعد أن عاش أكثر من قرن ينسب إلى أصل غير أصله، إن الربط بين "اللاز" الفتى الشقي اللقيط الذي يحمل كل الشرور و لا يعرف من أبوه و بين الشعب الجزائري الأصيل الذي لم ينسى أصله و عقيدته، هو ربط لا يتماشى مع الواقع، و لا يمكن قبوله من وجهة النظر التاريخية و العقائدية للشعب الجزائري ومع ذلك يبقى الموقف مقبولا من الناحية الفنية.

ذلك أن وطار كما يقول في بداية روايته هذه: " أنني لست مؤرخا و لا يعنى أبدا أني أقدمت على عمل يمد بصلة كبيرة إلى التاريخ، رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها "إنني قصاصا وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة بوسيلتي الخاصة على حقبة من حقب ثورتنا ".

إذا كانت راوية "اللاز" قد صورت لنا مرحلة من مراحل الثورة، وذلك من خلال رؤية إيديولوجية محددة فكانت بمثابة الأرضية الفكرية للكاتب، فإن روايته الأخرى "الزلزال" جاءت لتحقق هذه الرؤية الإيديولوجية في الواقع الاجتماعي و الاقتصادي كحل شرعي لمخلفات الثورة التحريرية. فقد صور لنا الكاتب في روايته هذه حكاية إقطاعي جاء من العاصمة ليحمي أملاكه من شبح الثورة الزراعية كما تصور الرواية جانبا كبيرا من تغيير الحياة فجسد لنا واقع المدينة و مشاكلها الناتجة عن الهجرة الداخلية، وكانت مدينة قسنطينة بجسورها مسرحا لأحداث الرواية.

هذا باختصار بعض المضامين للنصوص الروائية التي ظهرت خلال هذه الفترة و التي كانت كلها تسير في فلك الإيديولوجية الاشتراكية المتبناة من ظروف الدولة من أجل بناء الدولة الجزائرية الجديدة بعد أن أحرزت الاستقلال، و لما بدأت مرحلة الدولة الجزائرية الجديدة ساهمت كل المؤسسات في رفع هذا الصرح و ساهمت الرواية كجسر أدبي و مؤسسة اجتماعية أداتها اللغة في بناء مشروع الدولة.

لقد كانت فترة التسعينيات حافلة لروات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضو بتميز مرحلة التاريخية التي أنتجته ولواقع الإجتماعي الذي شكل الأرضية، التي استطاع من

خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل القراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة لظرف التاريخي الصعب [1].

[1] شادية بن يحي، المرجع السابق.

المبحث الثالث : التعريف بالرواية " الرماد الذي غسل الماء " .

تعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي حاولت تصوير الذات و الواقع و تشخيصه إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة قائمة على التماثل و الانعكاس غير الآلي ،كما استوعبت جميع الخطابات و اللغات و الأساليب والمنظورات والأنواع و الأجناس الأدبية و الفنية الصغرى والكبرى إلى أن صارت الرواية جنسا أدبيا منفتحا و غير مكتمل و قابلا لإستيعاب كل المواضيع و الأشكال و الأبنية الجمالية.

إذن الرواية فهي في أبسط مفاهيمها نوع أدبي نثري وتغطي حيز التجارب الإنسانية و الخيال و لكونها شكلا أدبي فهي تتميز بسرد يحكيه راوي و تختلف عن المسرحية وهي أطول من القصة وتغطي فترة زمنية أطول و شخصيات أكثر،لغتها نثرية و قوامها الخيال تختلف عن التاريخ و السيرة المباشرة و الحقيقية و هي في الغالب من نسج خيال .

رواية (الرماد الذي غسل الماء)عمل فني تجريبي يسهم في الانتقال من كتابة اللقطة والحالة والصورة الخاطفة، إلى استكشاف الكلية المركبة والإشكالية المشخصة للعلاقات النثرية العميقة بين الذات والمجتمع والوجود. وفيها نلمس محاولة كسر قانون السرد الغربي والتصرف في قواعده المعيارية، وذلك من خلال تشييد عالم حكائي متميز في نمط خطابه وصيغة تلفظه وطبيعة ارتباطاته بالمتخيل الاجتماعي، وعلاقاته بالأجناس الأدبية والخطابات المعرفية والأشكال البسيطة والأعراف والقيم الثقافية .

أهم الملاحظات الأدبية في الرواية :

أ/سردية النص: سردية المجتمع: أول ما يواجه القارئ في تلقيه للنص هو الوسم الأجناسي، لأنه علامة ثمينة تفتح أفق انتظار يراعي طبيعة تمثل الكاتب لحدود الجنس الأدبي الذي يرتاد فضاءه بوعي أو بدونه . وما يلفت النظر في (الرماد الذي غسل الماء)هو تسميتها بالرواية على ظهر الغلاف ووسمها بالحكاية، والحكاية العجيبة في الاستهلال المضمن في شكل رسالة عشق إلى حبيب مفقود .

ب/المتن /الحاشية: وفي ترابط مع هذه الخاصية الواسمة لسرد النص من جهة التشويش على صفائه التمثيلي وقدرته على تحويل جنس الرواية إلى مقولة قابلة للكسر، نلقي توظيفا مبتكرا لتقنية التحشية التي

تخللت النص بوفرة كادت أن تغطي المتن ذاته، إذ بلغ عددها تسعين حاشية، تقوم بوظائف متنوعة تشمل التعريف بالشخصيات ووصف الفضاءات والتعليق على الأفعال[1] .

ج/الواقع و الخيال: تنتهي الرواية بالحاشية رقم 90 التي تنقض البعد الواقعي لمدينة عين الرماد وللحكايات الجارية فيها مبطلة بذلك كذبة التشخيص فكيف يمكن الجمع بين هذه الإشارة الفاضحة القوية التأثير بفعل ورودها ضمن ختام النص، وبين التشخيص الدقيق والوصف التفصيلي لمدينة عين الرماد إلى حد تقري معالمها وظواهرها وأناسها؟ ومن المؤكد أن هذه المفارقة التي تشكل الحجر القلق للنص لن يرتاح لها القارئ المتواطئ الذي ينسحر بقوة الإيهام ويلتذ بالتصديق وينخدع بالمحاكاة، لكنها في المقابل ستحفز القارئ الإشكالي على إعادة بناء العلاقة بين الخيالي والمرجعي وفق تصور مغاير ينتصر لذات الكتابة، أي لنسق العلاقات القائمة بين شرائح النص نفسه .

ومن المؤكد أن الرواية قد استوحت الواقع الجزائري من جهة تمثيل انكساراته الاجتماعية والسياسية وتصوير مظاهر الفساد فيه، كما أنها شخصت حلمه بالعدالة الاجتماعية في مرحلة ما بعد الاستعمار ، غير أن هذه المقاصد المشكلة للسياق وإن رافقت النص فإنها تموقعت أيضا خارجه، بحيث أفضى ظهورها العرضي والمختلف إلى انتصار الشكل وتجسيد نزاهة الكتابة التي لا تطمس الإحالة بل تجعلها غامضة ومشرقة.

وبذلك تكون رواية الرماد واحدة من النصوص العربية والإفريقية التي أكدت نديتها لغيرها من روايات الغرب ،ذلك أن نقاد أوربا وأمريكا قرؤوا غالبا آداب العالم الثالث ككناية قومية وتعبير سياسي مباشر غافلين طبيعته المميزة ومنتهكين هويته، ومن ثم دراستهم له في الأقسام الجامعية المختصة في الانتروبولوجيا .

والحال أن رواية مثل رواية الرماد تبين عن نضجها الفني المرتكز على تقنياتها السردية المراوغة، وبنياتها المتأبية على الفهم البسيط الذي يسعى لتضييق المسافة بين النصي والواقعي.

وفي ذلك رد على المفهوم الكولونيالي للعالمية الذي اعتبر الأداة النقدية الأوربية لتصنيف الثقافات والآداب من منظور يعيدنا إلى تلك العلاقة المشبوهة بين المعرفة والسلطة، بل ويذكرنا بالآثار المتبقية عن إمبراطورية الاستراق التي عمل ادوارد سعيد على تفكيكها، كاشفا عن اختلاقها لشرق يغذي خيالها وقوتها وتمركزها العرقي وعنصريتها الدفينة.

[1] عائشة رغيوة، عائشة عومر، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر بعنوان البنية السردية في رواية الرماد الذي غسل الماء، جامعة الواد، 2018-2019، ص 07.

ومن ثم فان النقد الروائي ملزم بتطوير نظرته من الداخل لأجل إنتاج قراءة منصفة للرواية الجزائرية بعامة، قراءة ما لم يقرأ فيها بعد، واستكشاف عناصر تميزها واستراتيجياتها في توكيد الاختلاف الفني والثقافي ، ومن المؤكد أن المتن الروائي الجزائري الجديد ممثلا في عز الدين جلاوجي قد أثبت أن الأدب الجزائري ما زال قادرا على الإضافة، بل وما زال قادرا على الإسهام في الثقافة العالمية إلى جانب الجماعات الثقافية المتنوعة .

المبحث الرابع : ملخص الراوية .

هيكل رواية (الرماد الذي غسل الماء)تتكون الرواية من 255 صفحة، الصفحات بنفس المسلك غير أننا عثر في هذه الرواية على ورقة بيضاء شاغرة لا تحمل الترقيم التسلسلي للرواية،تقع ما بين الصفحتين 89/87 وحسب ولينا لذلك ربما الكاتب لم يشأ الإفصاح عن الأشياء التي كانت تدور في مخيلته غير أن هذا البياض ورد مرة واحدة ، ولقد عمد الروائي إلى تقسيم روايته إلى أربعة أسفار كل سفر يحمل أحداث خاصة به دون انفصال أحدها عن أخر، ولكن الاختلاف بينهما يكمن في عدد الصفحات، إذ نلاحظ أن السفر الأخير أقل حجما بكثير من الأسفار التي سبقته، إذ يحوي السفر الأول على 87 صفحة أما السفر الثاني فيتضمن 93صفحة و52 صفحة فيما يخص السفر الثالث، و10 صفحات خصصت للسفر الرابع والأخير أما في ما يخص الصفحات، فقد نوع الراوي في طريقة استغلاله لها إذ نجد بعضها يتضمن حواشي،و على الرغم من أن وجود مثل هذه الأخيرة في النصوص الأدبية الحديثةنتيجة عدم الحاجة النص الأدبي إلى مثل تلك الشروح والتفاسير، و هذا ما يفسر استعادة لروح الكتابة التراثية القديمة .

1/ العنوان : من الواضح أن عنوان الرواية يعد العنصر الأول الذي يظهر على واجهة الغلاف كإعلان إشهاري محفز للقراءة ، أذ يعتبر المفتاح الإجرائي الذي يمد القارئ بمجموعة من المعاني والإشارات الدالة ،التي تسهل عليه الدخول في أغوار النص وتشعباته الوعرة وتعتبر العلاقة بينه وبين النص علاقة جدلية إذ بدونه يكون النص عرضة في نصوص أخرى وبدون نص يكون العنوان عاجزا عن تمكين محيطه الدلالي لعل أول مايواجه القارئ في رواية " الرماد الذي غسل الماء " فالملاحظ أن بنية هذا العنوان تحترق الترتيب المنطقي للأشياء وتقلب المعنى المتعارف عليه لفعل الماء فتجعل الرماد الذي هو رمز الفناء و السكونية يسلب الماء أحد أهم عناصره وهي الحياة والحركية واختيار الروائي لهذا العنوان لم يأت عبثا لأن الواقع يثبت أن دلالته تتناسب مع مضمون المتن الروائي .

2/الألوان :لقد مزج الروائي بين اللون الأسود الرمادي وهذا ما يظهر على صفحة الغلاف وهما لون يدلان على الغموض والإنطواء وحياة الإضطراب وعدم الإستقرار النفسي وهما يعكسان حقيقة ما يتضمنه المتن الروائي [1].

تعتبر رواية الرماد الذي غسل الماء لجلاوجي رواية اجتماعية بامتياز فهي تعالج مشاكل الفرد في مجتمع انتشرت فيه الرذيلة وساده الظلم والفساد ، كما أنها تجسد الصراع القائم بين الطبقة المثقفة والطبقة المتسلطة

[1]عائشة رغيوة، عائشة عويمر، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر بعنوان البنية السردية في رواية الرماد الذي غسل الماء، جامعة الواد،2018-2019، ص 08.

الغير المثقفة ، فالرواية تحكي قصة فئة الشباب الضائع الذي لم يسعفه الحظ في الحياة ، وانحرفوا ليصبحوا مدمني مخدرات وسكارى وشواذ ، اضافة إلى ذلك الطبقة السياسية الفاسدة التي تفرض سيطرتها على الضعفاء ، وتعمل على النهب والخراب من مدينة عين الرماد .

تقص هذه الراوية قضية جنائية تبحث عن القاتل الحقيقي للجثة ، التي عثر عليها كريم السامعي على قارعة الطريق المؤدي الى ملهى الحمراء ، حيث يعتبر هذا الحدث الهام الذي تنطلق منه أحداث الرواية من البداية الى النهاية .

تبدأ أحداث الرواية بخروج فواز بوطويل من ملهى الحمراء مخمورا وقيادته السيارة وهو في حالة سكر وارتكابه الجريمة ، في المقابل تسعى أمه " عزيزة الجنرال " لتلخصه من قضبان السجن وأبعاد كل أوجه الاتهام عنه ، حفاظا على سمعتها ومكانتها في المجتمع ، مسخرة بذلك كل امكانياتها المادية والمعنوية ، مستغلة نفوذها ، فقد دخلت في علاقة مع الطبيب " فيصل " حيث ركب فواز بوطويل سيارة الأسعاف ... في حين ركب الطبيب مع عزيزة الجنرال التي أخبرته في لبطريق أن أبنها تخاصم مع صاحب ملهى الحمراء ... وطلبت منه في الأخير أن يراعي ذلك ، ويشهد أن فواز قد دخل المصحة في حدود الرابعة مساءا ، لتكون دليل على عدم ارتكابه الجرم .

ولم تكتفي بهذا بل جعلت ابنتها تقيم علاقة معه ، حتى يكون تحت أمرها ، فقد سخر الطبيب فيصل سلطته في المستشفى لصالح عزيزة الجنرال وشهد شهادة زور في مركز الشرطة متخليا عن أخلاقيات المهنة وعن قسمه المهني .

كما أن عزيزة الجنرال كانت السبب في وصول كل من مختار الدابة ونصير الجان الى كرسي البلدية لتسهل على نفسها تحقيق مصالحها الشخصية وتستطيع أن تضع يديها على أملاك مدينة عين الرماد بصفة غير قانونية ، كما أنها كانت وراء دخول فاتح اليحياوي السجن الذي راح ضحية كيدها فقد وضعت كل دلائل الجريمة في مزرعة والده إلا أن الضابط سعدون لم يقف مكتوف اليدين بل تصدى لمكر عزيزة وسعى جاهدا لإظهار الحقيقة .

كما لم يسلم أفراد عائلة عزيزة من بطشها وجبروتها ، فزوجها سال بوطويل لم ينعم بالراحة فلقد مارست عليه أسلوب التسلط ، فلا دور له في تسيير أمور الأسرة ، في المقابل لم تكن هناك أي ردة فعل أو رفض منه وهذا ما أدى الى انفصالهما ، ليبقى سالم غارقا في ذكرياته مع ذهبية حبه الوحيد والاحترام الذي عاشه في كنف والديه .

لقد عمت سلطة عزيزة الجنرال مدينة عين الرماد لكن إرادة وعزيمة الضابط سعدون كانت أقوى منها ، فقد سعى جاهدا لمعرفة وكشف الجاني الحقيقي للجريمة ، رغم ما تعرض له من العراقيل ، فقد رسم خطة تمثلت في وضع مقلب يدعي فيه ظهور عزوز المرنيني وبانتشار هذه الإشاعة اختلطت أوراق شخصية عزيزة الجنرال التي حاولت أن تقطع الشك حول صحة هذه الاشاعة ، فقد ذهبت الى مكان دفنها للجثة ليكتشف أمرها حيث فاجأها جمع غفير الضابط سعدون ، بدرة ، نوارة ، سمير ... ، فاضطرت وراحت تمسك بيدها المرتجفتين تحاول تسوية شعرها وهندامها ... وراح المحيطين بها ينبشون القبر وتسلل أحدهم الى القبر وأخرج الجثة فمددها على الأرض .

وبهذا تظهر براءة فاتح اليحياوي ويظهر القاتل الحقيقي للجثة ، إلا أن نهاية شخصية عزيزة الجنرال تبقى غامضة فالسارد في النهاية يشير الى اختفاءها من كل المدينة ولا يعلم أحد أين ذهبت فنهاية عزيزة وجماعتها أحدثت وضعا جديدا في مدينة عين الرماد ، أتسم هذا الوضوع بالأمن والاستقرار[1]

[1]عائشة رغيوة، عائشة عومر، المرجع السابق، ص 09-10.

الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية والسياسية في الرواية

المبحث الأول : ماهية الرواية البوليسية .

المبحث الثاني : نماذج عن شخصيات من رواية الرماد الذي غسل الماء

المبحث الثالث : الملامح والانعكاسات الاجتماعية في الرواية .

المبحث الرابع : الأبعاد والتجليات السياسية في الرواية .

مدخل:

إنّ الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية و الوطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة، فالرواية السياسية في الجزائر في فترة السبعينات وما تميزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينات، وصولا إلى عقد التسعينات الذي كان حافلا بمختلف التطورات و الأحداث خصوصا في الميدانين الأمني و السياسي، أما المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال واسيني الأعرج و أحلام مستغانمي والطاهر وطار وبشير مفتي، وإلى جانب هؤلاء الكتاب المحترفين نجد بعد الكتاب الجدد الذين كانت لهم تجربة معتبرة في هذه النمط من الرواية.

تقترب رواية "الرماد الذي غسل الماء" من الروايات البوليسية، ذلك أنها تروي قضية تحقيق أمني للبحث عن القاتل الحقيقي وعن سر اختفاء الجثة التي عثر عليها كريم السامعي على طريق الغابة ليلا، إلا أن حقيقة الحكي كانت تذهب إلى رصد محنة الراهن المسدود الذي كانت تعيشه مدينة "عين الرماد"، وتصور مدى البؤس الاجتماعي الذي يعيشه الشباب جراء انتحار كل أحلامهم في تحقيق غاياتهم في الحياة.

إلا أنه وعلى مستوى الحكي يعش القارئ لرواية "الرماد الذي غسل الماء" متاهة أخرى ذلك أن الروائي مارس حضورا قويا في النص الروائي ، من خلال تلك الحواشي التي كانت تتخلل متن الرواية، يلجأ فيها الروائي إلى التعليق عن الأحداث مرة، ووصف المكان بدقة مفضوحة مرة أخرى، كما استغلت هذه الحواشي في للرواية لتقديم الشخصيات تقديما موضوعيا قد يبعدها في بعض الحالات عن الفنية.

استهل الروائي روايته رسالة مشفرة عنونها: "حبيبي" هي لا تدخل ضمن المتن الروائي إلا أنها ترسم لدى القارئ أفقا خاصا يحتاج لقراءة خاصة وأنها لا تبتعد فنيا وموضوعاتيا على أحداث الرواية.

كما كان حضور الروائي صريحا في نهاية الرواية حينما علق على حقيقة عين الرماد يقول في الحاشية 90عمد علماء الآثار إلى البحث عن مدينة عين الرماد فلم يجدوا لها أثرا فأجزموا أنها لا تعدو أن تكون قصة نسجت خيوطها مخيلة أحد الأدباء ثم نشرها إلى الناس لتكون عبرة لهم ولأبنائهم من بعدهم قد يفقد هذا الحضور الصريح والفاعل للروائي القارئ متعةً ولذةً كان قد جناها من خيوط الرواية إلا أنه بالمقابل يغرقه في متاهة التحالف الذي يحصل على مستوى الذهن بين الواقع والخيال. وقد يتأزم التعالق أكثر في النص

المتميز خطيا عن متن الرواية، الذي أضافه الروائي يخاطب فيه القارئ خطابا صريحا يجعل عين الرماد ذلك النموذج الذي تنصهر فيه ملامح كل المدن التي يضنها القارئ آمنة من زحف الرماد.

الفصل الثاني : الأبعاد الاجتماعية والسياسية في الرواية :

المبحث الأول : تعريف الرواية البوليسية ورهانات الرواية الجزائرية .

الرواية البوليسية من الفنون الأدبية القائمة بذاتها ، قوامها الإثارة والتشويق ، وهي جنس أدبي حديث العهد ، مقارنة مع أجناس أدبية أخرى ضاربة في القدم ، حتى وإن كانت تبدو لنا نحن قراء الأدب العربي المعاصر، فنا قديما ، ومتجذرا في التراث الأجنبي .

ويرجع هذا الاعتقاد إلى أن المصادر الأولى ، والمكونات السردية الأصلية للرواية البوليسية تعود إلى أصول أجنبية ، و لم تصلنا نحن العرب إلا في العصر الحديث والمعاصر .

وتعد الرواية البوليسية أكثر الأجناس الأدبية شيوعا ، وانتشارًا ، ولها شعبية وقاعدة جماهيرية عريضة من القراء ذلك راجع الى قوامها المبني على الإثارة والتشويق ، ومشاهد متعة الحكي والخيال، والمشاركة في فك الألغاز .

يرى بوشعيب الساوي : أن الرواية البوليسية هي ذلك التخيل المؤطر بقضايا التحري و التحيقيق وفك الألغاز.[1]

عوامل نشاة الرواية البوليسية :

ولأن الرواية البوليسية كأي جنس أدبي وليدة تناقضات تتجلى على أصعدة عدة : الدينية ، السياسية ، الاجتماعية ...، فان المناخ الغربي بتناقضاته وتحولاته شكل الفضاء الأمثل لاحتواء مثل هذا النوع الأدبي ، بحيث تضافر عاملان اثنان كانا بمثابة الرافدين المباشرين للرواية البوليسية بأوربا وهما :

1/الموروث الشعبي : وتتمثل في تلك النصوص الحكائية التي كان يرويها المتشردون الشعراء الجوالون والتي كانت تشد فضول واهتمام الطبقة الشعبية لما تتضمنه تلك الحكايات من طابع شاذ فهي قصص المعذبين في الأرض في بيئة متحضرة .

2/ الموروث العالمي : ويقصد به الأعمال الفنية الأدبية ذات المستوى الفني الرفيع والتي أثرت بشكل أو بآخر في نشوء وتطور الرواية البوليسية .

[1] قمرة عبد العالي، مدكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان البنية الزمكانية في رواية الراد الذي غسل الماء،جامعة باتنة، 2011-2012، ص 161.

شروط الرواية البوليسية :

تقوم الرواية البوليسية على جملة من الضوابط والشروط التي تضمن تشكلها السليم والتي نعرضها على الشكل التالي :

1-يجب أن تكون للرواية رجل مباحث وجثة .

2-لا يجب أن يكون الجاني مجرما محترفا ولا رل المباحث ويجب أن يقتل لأسباب شخصية .

3-يجب لأن يفسر كل شيء تفسيرا عقليا ، ولا مكان للعجائب .

4-لا مكان للوصف أو التحليل النفسي .

5- يجب الابتعاد عن الوصفيات والحلول الساذجة .

ويجب أن تحتوي الرواية البوليسية على عنصار ثلاث أساسية :

أ/المحقق .

ب/الجريمة الغامضة .

ج/التحقيق[1] .

[1]قمرة عبد العالي، المرجع السابق، ص 164.

●الرهانات الوطنية:

ظهرت إلى الوجود أعمال روائية كسرت نمطية المألوف و البحث عن الجديد في واقع الإنسان، وكان أهم موضوعاتها" محنة المثقف الجزائري"، و محنة صراعاته مع العالم الخارجي، و محنة البحث عن الوجود و إثبات الذات، وقبل الخوض في كل هذا كان لزاما علينا أن نتناول الراهن الوطني من كل جوانبه فيعلاقاته بالنص الروائي الجزائري انطلاقا من:

أولا: الراهن السياسي:

لقد وافقت التعددية الحزبية المميزة للراهن الجزائري اعتبار حرية التعبير في الدستور حق من حقوق المواطنة، بمعنى أن النص الروائي الجزائري أضحى يتمتع رسميا بحرية أكبر في التعبير مقارنة بما كان عليه الأمر في عهد ما قبل التعددية، مع الإشارة إلى أن النصوص الأدبية و الروائية خاصة كانت المجال الذي تبلورت فيه حرية التعبير أكثر من الفضاءات الأخرى خاصة إذا قارنا حالة التضييق التي مورست على الإعلام و أسلوب الرقابة الذي فرض عليه يمثلها في مجال النصوص الإبداعية لوجدنا أن الإعلام قد عان من ظاهرة الرقابة أكثر مما حدث في مجال الأدب، لكن لا يجعلنا أبدا نغض الطرف عما تعرض له حبيب السايح من مضايقات بعد نشره: "زمن التمرد"، أو كيف أنه لم يسمح بتداول رواية " التطليق" لـ رشيد بوجدرة في الجزائر إلا بعد انتهاء عهد بومدين، وغير ذلك من هذه النماذج.

غير أنّ القول إنّ الراهن السياسي يفتح مجالا أوسع لحرية التعبير على صعيد النص السردي يتطلب مع ذلك إبداء بعض التحفظات التي تجعلنا أقل تفاؤلا، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ظهور أشكال أخرى من الرقابة بالموازاة لرقابة السلطة المتمثلة في: رقابة السلطة على مؤسسات الطباعة و النشر، و رفض كل ما يتنافى و التطلعات الإيديولوجية القائمة.

فالنشر في حد ذاته أضحى من الصعوبة بما كان هذا إن لم يكن مستحيلا على أساس أنّ النشر على حساب المؤلف يكاد يصير موضة العصر في الجزائر، ومن ناحية أخرى يتجلى هذا الجانب من الراهن في النص الروائي الجزائري من خلال اقتحام ظاهرة "الإسلام السياسي" المعيشة على أرض الواقع، معظم النصوص الروائية الراهنة إن لم نقل جميعها، إلاّ أننا لم نلمس ذلك من خلال شخصيات روائية معبرة عن الظاهرة إلا عند الطاهر وطار في رواياته" الشمعة و الدهاليز" من خلال شخصية عمار ابن ياسر، حيث تحتل الشخصية كل الفضاء السردي للنص، أما إذا تعلق الأمر ببعض الأعمال الروائية الأخرى، كأعمال واسيني الأخيرة "سيدة المقام"و "ذاكرة الماء"، أو "الانزلاق " لـ حميد عبد القادر، أو "المراسيم و الجنائز" لـ بشير مفتي.

أما في ما يتعلق بالجانب الإيديولوجي الذي يشكل الخلفية الملازمة للفعل السياسي، فقد انعكس في النص الروائي المعاصر بمختلف تشكلاته في الواقع، فأعمال واسيني الأخيرة تنطوي على خلفية إيديولوجية تحيل إلى الاتجاه الحداثي الجمهوري المدني، وهو الاتجاه الجديد الذي صار الكثير من الأدباء الجزائريين اليساريين يتبنونه بعد انهيار الإيديولوجية الماركسية و بروز التيار الإسلامي وهو الاتجاه نفسه الذي نجده في "الانزلاق" لـ حميد عبد القادر.

أما الطاهر وطار الذي تأسست أعماله المكتوبة في عهد الحزب الواحد على خلفية إيديولوجية يسارية، فإننا نجده في "الشمعة و الدهاليز" ينحو نحو نوع من اليسارية النابعة من قراءة ماركسية للواقع الجديد، في ما يؤكد في أحد تصريحاته أن "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" هو تعبير عن هاجس الوئام المدني.

ونجد عند بشير المفتي في "المراسيم و الجنائز" مسعى يطمح إلى التخلص من الهيمنة التقليدية الإيديولوجيات على النص السردي الجزائري من خلال التركيز على هموم الذات، مع ذلك تظل بعض الهواجس التقليدية للرواية الجزائرية حاضرة في عمله الروائي هذا.

ثانيا: الراهن الاقتصادي:

لقد طبق اقتصاد السوق في مجال الثقافة بتخلي الدولة عن دعم إنتاج النص الإبداعي، و تحول هذا الأخير تبعا لذلك إلى سلعة تحتكم إلى العرض و الطلب، فظهرت أزمة النشر إذ أن غلاء المنتوج الإبداعي في ظل انتشار البطالة والتضخم المتزايد، ما لبث أن أصبح عائقا يحول دون تسويق هذا المنتوج،مما حدا بدور النشر إلى الامتناع عن طبع الأعمال الأدبية، وهكذا ظهر للمرة الأولى في تاريخ الجزائر المستقلة النص الإبداعي المطبوع على نفقات المؤلف وتحول هذا الأخير في آن واحد إلى مسوق و موزع لأعماله، و انجر عن ذلك أن النّص الأدبي المطبوع صار لا يتعدى الألفي نسخة، وهذا في أحسن الأحوال بل حتى من حيث الحجم لم يتعدى 150 صفحة، وأصبح المبدعون الجزائريون يولون هكذا وجههم إما شطر باريس إن كانوا من كتاب اللغة الفرنسية، أو نحو المشرق لاسيما سوريا و لبنان إن كانوا من أصحاب لغة الضاد.

المبحث الثاني :نماذج عن شخصيات من رواية الرماد الذي غسل الماء .

1/عزيزة الجنرال : شخصية محورية لها دور كبير في تحريك أحداث الرواية ، شخصية قوية سلوطية من ذوي النفوذ والمتلاعبين لسلطة ، تتميز بعدم تعاطفها مع الأخرين ، انتمائها إلى الطبقة البرجوازية من خلال إرثها ثروة عمتها ، حصولها على المال وامتلاكها للقوة امتلكت الجميع في قبضتها .

2/مختار الدابة : هو نموذج للشخصية الإستغلالية، الجاهلة تستغل نفوذها لأرضاء نزواتها خاصة الفقراء منهم : عائلة المرنيني انطلاقا من الأم سليمة وكذلك محاولة التقرب من ابنتها العطرة عن طريق مدهم بسكن اجتماعي .

3/ فواز بوطويل :هو شخصية فاعلة في المتن الحكائي ظهوره في الرواية أدى إلى تطور الأحداث وزمها وتعقدها أكثر شخصية تعاني الضعف والفشل في الحياة والعدم تحمل المسؤولية وعدم الإحساس لأخرين إنسان ضائع بين الملهى والسكر غير مستقر في حياته رغم انتمائه للطبقة البرجوازية .

4/كريم السامعي :شخصية هادئة صالحة تتميز بالأخلاق السامية ، مثقف واع ومتخرج من الجامعة ، منبته أسرة فلاحية يسري في دمه حب الأرض فهو شخصية ساهمت مساهمة فعالة في تحريك الأفعال وزادت الأحداث الرواية حيرة وأكثر تعقيدا ، هذه الشخصية دفعت ثمن جرم لم ترتكبه خلف سرادق السجن تجرع ألآم براءته , ألآم ظلم القانون له.

5/سالم بوطويل : شخصية مسالمة حساسة ، رغم انتمائها البرجوازي وامتلاكه للمال إلا أنها لم يعنيا له شيئا ، يرفض دائما هذا الإنتماء الذي لم يجني منه شيء، المقطع التالي يوضح ذلك :" تمنى لو كان مجرد فلاح فقير يرعى شويهات ... وكل كسرة الشعير تصنعها أنامل زوجته .... تمنى لو لم يكن أصلا في هذا الوجود ..... ما معنى أن تملك المال والعقار والمزارع ،ثم أنت لا تملك نفسك ؟ ...

6/ سمير المرينيني : هو نموذج من طبقة الفقيرة ، طيب القلب واع إكتفى بدراسته في الثانوية متعاطف مع الأخرين ، يتحسر دائما على جيرانه وأفراد مدينته عين الرماد لمن معايشته لهذا الموقف المؤلم وتلك الظروف القاسية والفقر اللاذع جعل منه شخصية تتغير وتتحول في سلوكاتها شخصية منحرفة ومتمردة عن المجتمع يظهر ذلك جليا من خلال إختلاطه بجماعة المخدرات مراد لعور وعمار كرموسة، الزربوط .

إن اختيار عز الدين جلاوجي للشخصيات لم يكن اختيار عشوائيا وإنما لغاية من نفس الكاتب تظهر عن سعة إطلاعه، فهي شخصيات إنسانية واقعية فيها مزج خيالي ، اتخذ الكاتب منها وسيلة للكشف عن خبايا وأغوار الواقع محاولا جعلها تنسجم وتتناسق مع العمل القصصي جاعلا من هذه الشخوص الروائية والأحداث مسرحا فنيا جماليا تسبح فيه قدرات كل شخصية ودورها الفعال في الرواية .

المبحث الثالث : الملامح والانعكاسات الاجتماعية في الرواية .

لقد استوحت رواية الرماد الذي غسل الماء الواقع الجزائري من جهة تمثيل انكساراته الاجتماعية وتصوير مظاهر الفساد فيه ، حيث سعى مؤلفها عز الدين جلاوجي إلى تشخيص حلمه بالعدالةفي مرحلة ما بعد الاستقلال ، فسجد في روايته هاته صفحات من الجور والقمع ، ومعاناة العنصر النسوي وخاصة كثرة الجريمة وغياب الضمير الجمعي ، وانتشار الآفات الاجتماعية خاصة المخدرات ، حيث تبدأ هاته الرواية بتقنية خاصة ومباشرة من عمق الأزمة التي شكلت الثورة وحركت وجسدت كافة أحداث الرواية .

مدينة الرماد التي كانت مسرح لهذه الرواية ،من حال بروز الغابة لتكون السلوكيات البشرية الممارسة في المدينة مشابهة لما تحمله الغابة من معاني التوحش وشريعة السطو ، والظلم وهي بذلك تصبح الغطاء الآمن لمختلف الأفعال الاجتماعية المنحرفة ، وهي كذلك مكان وقوع الجريمة التي راح ضحيتها " عزوز المريني " فتنطلق الرواية مع هذه الواقعة واصفة الغابة التي تسترت على هذه الحادث :

" زادت الأمطار هيجانا ...بدأت الخمرة تسدل ستائرها على عينيه .. خفف من سرعته وهو يدخل منعرجات راس العين الخطيرة ..كان الطريق مقفرا وموحشا ، ولم تستطع الأضواء الكاشفة أن تهتك حجبه الكثفة ..صدمه ..وارتطمت مقدمتها بآخر شجرة معزولة في الغابة "

إن الغابة كونها رمزا لشريعة التوحش ستبقى حاضرة في هذا المتن الروائي ، محتضنة لشتى السلوكيات البشرية المنحرفة ، ولم تبق الغابة حكرا على طالبي الجسد فقط ، بل أصبحت مركزا لتجارة المخدرات والترويج لها والجريمة البشعة .

وبالحديث على المقهى في الرواية الذي يعتبر مكانا اجتماعيا فحوليا ، ذكوريا بامتياز فهو لا يختلف عن الغابة من ناحية تجسيده لمبدأ " الضياع " و " الانحراف " و "التدنيس " ، انه معادل حقيقي لحالة الضياع والتشرذم التي يعيشها سكان مدينة عين الرماد وهو ما نلمسه في الرواية :

" وعاوده الهدوء ، وهو يتجه صوب مقهى الحي العتيق الذي عششت حوله المقاهي الحديثة ... وقف عند الباب يتفرس الوجوه الغارقة في بحر القمار ، وقد علتها سحب الدخان ... شباب ، كهول ، شيوخ ..معلمون متقاعدون ، وخمارون وخريجو سجون "

فالمقهى من خلال هذا الوصف يبدو مشكلا من مزيج غير متجانس ، ليعكس بذلك التركيبة البشرية في مدينة عين الرماد ، إضافة الى ذلك فان المقهى هنا يظهر كمكان مدنس وموبوء بحيث يمثل مركزا للصفقات والاتفاقيات وعروض البيع والشراء الخاص بعصابة المخدرات .[1]

ان البحث عن مكان آمن بعيدا عن مدينة عين الرماد والوباء الطافح فيها لم يكن من نصيب "فاتح اليحياوي " هذه الشخصية التي تمثل الوجه المثقف داخل المجتمع الغارق في الآفات لم يكن وحده من الشخصيات التي أتضح لديها الميول نحو الصلاح والخيرية بل كان هناك الشيخ خليفة ، فاذا كان " فاتح اليحياوي " اختار غرفة منعزلة أو قمة جبل بحثا عن عالم مثالي يتجاوز عفونة مدينة عين الرماد ، فإن عالم الشيخ خليفة كان عالما آخر ، عالم الفطرة ، عالم يتصل بزمن أسطوري يحيل على الأصل الأول من خلال العودة إلى نبع كل الجداول ، انه مبدأ الامتداد الذي يستهوي النفس ويستشير انفعالاتها رغبة في تحقيق انسجاما مع الوجود .

ان هذا البحث عن الفطرة الأولى والبراءة الأولى قد تجلى لدى هذه الشخصية " الشيخ خليفة " في مواطن عديدة في الرواية منها :

" مع خيوط الفجر الأولى وصل خليفة الى المزرعة التي بينه وبينها عشق كبير يحس فرح التربة ، ورقصات البذور وهي تنتشي بين أنامله ، وأغاريد الشتلات والبراعم .. وحدها الأرض تعيد إليه تعلقه وحبه للحياة معها يغسل من أدرانه وأحقاده ..ومن هبوطه ..معها يستوي على عرش الإنسان ..أعطاها منذ كان صغيرا دقات قلبه ، ودفقات شريانه ..يردد دائما لا فرق بين الأرض والأنسان ، هو الأرض الصغرى ، وهي الانسان الأكبر .. وبمثل ما يسعد وهو عليها .. يحس بالاختناق وهو يغادرها إلى البيت ، حيث عفن المدينة ، ونفاقها"

[1] د. وليد بوعديلة **الحضور الاجتماعي والسياسي للرواية الجزائرية**،https://thakafamag.com/?p=10194 2021/04/17، 16:57

المبحث الرابع : الأبعاد السياسية في الرواية .

تعدّ الرواية الجزائرية حديثة العهد إذا ما قورنت بنظيرتها المشرقية، ولعل الظروف السياسية والاجتماعية وكذا الثقافية التي مرت بها الجزائر منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى غاية أواخر الستينات هي التي حالت دون ظهور هذا الجنس، وانتشاره بين جمهور القرّاء ولكن الحال لم يدم طويلا إذ ظهر على الساحة روائيون كبار شكلوا الرعيل الأول في الإبداع الروائي الجزائري أمثال كاتب ياسين، مولود فرعون، ومن بعدهم الطاهر وطار وواسيني الأعرج وغيرهما من الذين شكلت أعمالهم مدونة الرواية الجزائرية التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح " الروايات التأسيسية ".

وإذا كان البعض من هؤلاء المؤسسين قد توقف عن الكتابة، أو غادرها إلى غيرها من الأجناس الأخرى، فإن البعض الآخر قد حاول التجديد والتطوير في لغته ومضامينه وأساليبه حتى يضمن بقاءه ضمن خريطة المبدعين الجدد الذين ظهروا على الساحة الأدبية، أمثال أحلام مستغانمي ، عز الدين جلاوجي ، فضيلة الفاروق، السعيد بوطاجين...

وقد تناول الروائي الجزائري تلك التحولات الاجتماعية والسياسية واقترب منها بتقنيات سردية متعددة ومتباينة بين روائي و آخر بل عند الروائي الواحد بين مختلف نصوصه،كما كانت الرؤية الفكرية متغيرة ،بحيث يجد القارئ كل الأصوات الاجتماعية والسياسية التي برزت في سنوات التسعينات(العشرية السوداء) وما بعدها، فتحضر بممارساتها وأفكارهافي حركية فنية ودلالية لم تتخذ النمط الأحادي في النظر، وهو ما يصعب فعل القراءةو إن تفاعلت الرواية الجزائرية مع المحنة الوطنية في التسعينات من القرن العشرين، واقترح الروائيون قراءات كثيرة للحدث المأساوي، بما فيه من مشاهد إرهابية (تطرف، دم، رصاص، تخريب...)فقد عاد النقد الأدبي لهذه الروايات بالتحليل والدراسة في الرسائل الجامعية والمقالات الصحفية والأكاديمية، كما أن نصوص مابعد الفتنة الدموية(من سنة 2000 إلى اليوم) قد قدمت مواقفها من الرهانات الاجتماعية والسياسية الجديدة على ساحة الوطن، فتناولت المصالحة الوطنية والتحول السياسي التعددي ومختلف المظاهر السلبية والايجابية التي شهدها المجتمع وعرفتها الدولة بمؤسساتها ، ولقد استعان الروائي الجزائري المعاصر بأدوات فنية متعددة لقراءة الراهن وكشف عناصره المتغيرة، فبرز التوظيف التاريخي والاشتغال التراثي، وقرأنا التحليل النفسي والطرح الفلسفي والصوفي، كل ذلك نجده في روايات عبد الله حمادي(تفنست)، و محمد مفلاح (شعلة المايدة)و مصطفى نطور (عام الحبل)و بشير مفتي(أشجار القيامة) و اليامين بن تومي(الزاوية المنسية) ...

حيث سعى المبدع الجزائري لكشف جوهر وروح الإنسان الجزائري، وتفاعل مع تراثه وذاكرته و تتبع نبضه الفكري والسياسي، من خلال منظور أدبي باحث عن التفرد،و يعتمد الروائي في إنتاج نصه الروائي على الحياة لأن النص الإبداعي هو حوار متواصل مع الأبعاد الذاتية والمجتمعية للمبدع و لأفراد مجتمعه، ويصعب على القارئ فصل الذاتي عن الجماعي في النص و في هوية الكتابة لدى المبدع .

– انهيار المجتمع و حضور الفتن:

يكشف الروائي عز الدين جلاوجي في روايته " الرماد الذي غسل الماء " (درا هومة للنشر، الجزائر2005)الكثير من الملامح الاجتماعية، عبر البحث في قضايا الدين و السياسة، بالإضافة إلى مسألة الموقف من الحضور الثقافي في مجتمع عربي استهلاكي ومتخلف يعاني الكثير من الانهيارات الحضارية، وهذا بعد روايته " راس المحنة " (1998) التي قاربت الأزمة الجزائرية و مرجعيات الممارسات الإرهابية و تجلياتها، و هو يقدم لنا الموضوعات والأفكار عبر تتبع قصة اختفاء جثة القتيل ''عزوز'' ورحلة سردية جمالية واجتماعية ، رغم أن القارئ يريد منذ الصفحات الأولى معرفة القاتل والمقتول(الجثة) إلا أنه لا يدخل في أحاسيس القلق والانزعاج، لأن السارد يعتمد التشويق السردي بالانتقال بين الأمكنة والأزمنة والمواقف كما يستعين بالموروث الشعبي وينوع اللغة ومستويات الشخوص(اجتماعيا وثقافيا) وتكشف الرواية بعض الحقائق السياسية الجزائرية ؛ فالزمن الإرهابي حصد الأرواح البريئة، و أغرقت الممارسات السياسية الضعيفة الوطن في الفوضى .

تقدم الرواية صورة عن كيفية توزيع المسؤوليات الهامة بطرق غير شرعية، كما أن المثقف الثوري التحرري يعاني من الغبن والإقصاء الاجتماعي والسياسي، يتساءل الضابط في الرواية " هل يمكن أن يكون عزوز ضحية هذا الإرهاب الذي راح يضرب بجنون البلاد والعباد، ولكن أي نوع من الإرهاب ..وقد تعدد في هذه البلاد " فلا يريد النص الروائي أن يتحدث عن ظاهرة أمنية وسياسية واحدة في إطار ضيق بل يريد من القارئ أن يتجه بعيدا في النظر للتحولات الاجتماعية والسياسية[1] .

و تبقى الرواية في الغالب تتجه نحو الأمام لتمارس الإغراء والإغواء على القارئ في سرد بوليسي يكشف المواقف السياسية الساخرة، ويفضح الأخطاء والسلبيات في المجتمع ، حيث ينتشر التزوير ويغلب اللاقانون على القانون ويتفوق المال المشبوه على العلم والمعرفة في السياق الاجتماعي الجزائري، بل هو شأن السياق العربي بعامة .

تريد رواية " الرماد الذي غسل الماء " أن لا تكون رواية مهادنة، بل تريد أن تكون صادقة فاضحة، فهي

---

[1] **د. وليد بوعديلة الحضور الاجتماعي والسياسي للرواية الجزائرية**،https://thakafamag.com/?p=10194 2021/04/17، 16:57

تكشف لنا ممارسة شخصية نسائية اسمها " عزيزة " التي ترمز إلى المافيا السياسية والمالية، ، والتطرف الذي يخدم مخططات أجنبية ، و للأسف هو ما يحدث جزائريا وعربيا، فيتجه الشباب بحماسة نحو التدين من غير زاد معرفي شرعي، فتقع الفتن بسبب التأويل الخاطئ للنصوص الدينية .

ومدينة عين الرماد كالمومس العجوز، تنفرج على ضفتي نهر أجدب أجرب تملأه الفضلات التي يرمي بها الناس والتي تتقاذفها الرياح... تتدرج فيها البنايات على غير نظام ولا تناسق.. يسد عليها الريح من الجنوب أشجار غابة صغيرة... تعاود الانحدار مرة ثانية على جبل صغير تشقه طريق معبد، تنزل قريبا منها عين الرماد الأصلية التي قيل إن السكان قد هجروها ثم اتخذوها مزارا ومعبدا... وتمتد المدينة من الجهة الأخرى مرتفعة قليلا ثم مستوية ثم هابطة إلى أسباخ نخرة..

وتمتلئ مدينة عين الرماد بالحفر وببرك المياه القذرة.. يتوسطها سوق منهار السور.. تتلوى شوارعها وأزقتها التي تضيق وتتسع في غير نظام.. إلى جانب من جنوبها تمتد مساحة كبيرة مستوية تلتصق بالمدينة ثم تغوص في الغابة.. وحدها هذه الجهة تقوم بها بنايات أنيقة منظمة أقامها الفرنسيون يوم أسسوا المدينة التي سموها (la belle ville) المدينة الجميلة،وما فتئت الكتل الإسمنتية تتكتل حولها كخلايا سرطانية حتى شوهت كل ماحولها من هكتارات ضخمة.

سيدي...

هاذِي عين الرماد.. وهي ليست شبرا من الجغرافيا، ولا حفنةً من دوابِّ البشرِكما تتوهمُ، بل هي امتدادٌ من الأرض رهيبٌ، وهديرٌ من الغثاءِ تجمدَ على سطح الأرضِ فأهلكَ الزرعَ والضرع، حتى صرت أردد:"أَينما تولوا فثمَّ عينُ الرماد.." وحتى صرت أردد:"إنَّ ياجوجَ وماجوجَ مفسدُونَ في الأَرْضِ.."، و"فكأَين من قرْيةٍ أَهلكناها وَهيَ ظالمةٌ فهيَ خاوِيةٌ على عرُوشها وَبئرٍ معطلةٍ وَقصرٍ مشيدٍ"

هي ذي قصةُ مدينتنا المسخوطةِ.. لست أدري كيف سيكون موقفكَ منها.. أَينهمرُ قلبكَ دموعا حزنا عليها وعلى أهلها؟ أم تستنشق كل الهواء الذي حولك قائلا:"هي نهاية الضالين والحمد لله الذي نجانا من القوم الضالين"؟

وليس يهمني أنا المدينةَ ولا أهلها... وليس يهمني حتى نفسي.. لقد آمنت أخيرا أن الحياة في عين الرماد عبثٌ، ولا معنى أن أعيش لعبث.

قلب مازال يخفق بحبك ..[1]

[1]عز الدين جلاوجي، رواية الرماد الذي غسل الماء، دار المنتهى، الجزائر، 2005، ص 288.

خاتمة :

لقد توقفنا عند رواية الرماد الذي يغسل الماء التي لامست التحولات الاجتماعية والسياسية في الجزائر وحاولت أن تقدم رؤية الروائي لبعض ما يحصل في المجتمع عبر أدوات فنية مختلفة ومنطلقات فكرية متباينة، والممارسة الإبداعية بالسياق الجزائري وعدم الهروبمن التناول الفني للرهانات والتحديات التي تصيب المجتمع، فوقف السارد الجزائري عند قضايا الفساد المالي و التزوير السياسي والصراعات الفكرية كما قدمت الرواية الجزائرية المعاصرة عوالم تحاور التاريخ و تقرأ عناصره للاستفادة منها في النظر للراهن، فكان الخطاب الروائي رمزيا تلميحيا حينا و مباشرا صريحا في الطرح حينا آخر، وهناك تجارب سردية أخرى يمكن قراءتها و التفاعل مع عوالمها الشكلية والدلالية لمعرفة محطات تاريخية هامة حول الجزائر المستقلة .

غامر الروائيون الجزائريون –في ظل التعددية السياسية والفكرية– في الانفتاح على موضوعات حساسة ومهمة تتعلق بالشأن الداخلي وتحاور الشأن الإقليمي و الدولي، بخاصة بعد سنوات من مشاهد الثورات العربية وما أحدثته من خلخلة في الأفكار و السلوكيات والقناعات و ما حولته من قيم حول النظر للأنظمة الاستبدادية، كما أن تغير المجتمع أصاب الخطاب الأدبي عامة و الروائي خاصة بتحولات كثيرة، في سياق التفاعل بين المبدع والظروف الاجتماعية السياسية التي يتحر ك ضمنها في مجتمع يشهد تحولات كبيرة في عصرنا الحالي .

عزالدين جلاوجي يريد أن يطبع في عقولنا فكرة أن أغلبية المثقفين إن لم نقل الكل يعانون من ويلات المتسلطين في هذا الوطن و لا حق لهم ابداء رأيهم وكان مصيرهم إما العزلة أو السجن أو الموت ،ومع ذلك يبقى مجال البحث في هذا الموضوع مفتوحا أمام المزيد من الإسهامات والقراءات الجديدة والموسعة،كما أتمنى أن يكون هذا العمل يفتح الباب لأعمال وبحوث أكثر عمقا وأدق بحثا وأشمل معنى ، حتى يستفيد منه العلم والأدباء .

قائمة المصادرالمراجع :

-رواية الرماد الذي غسل الماء ، عز الدين جلاوجي ، دار المنتهى الجزائر 2005 .

-مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير ، البنية الزمكانية في رواية الرماد الذي غسل الماء ، جامعة واد سوف 2012/2011

-مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ، البنية السردية في رواية الرماد الذي غسل الماء ، عائشة رغيوة ، عائشة عويمر ، جامعة واد سوف ، 2019/2018 .

- مقال للدكتور وليد بوعديلة ، الحضور الاجتماعي والسياسي في الرواية الجزائرية ، 2018 .

- مقال للدكتورة شادية بن يحي ، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ، 2013.

ملحق رقم (01)

ملحق رقم (02)

الفهرس :

-الاهداء :.....

- مقدمة :.....أ

-مدخل : 6

الفصل الأول : حياة الروائي وملامح عامة عن الرواية 8

المبحث الأول : التعريف بالروائي عز الدين جلاوجي حياته ، أعماله 8

المبحث الثاني :الرواية الجزائرية في التسعينيات 12

المبحث الثالث : التعريف بالرواية 16

المبحث الرابع : ملخص عن الرواية 19

الفصل الثاني : الأبعاد الاجتماعية والسياسية في رواية الرماد الذي يغسل الماء 22

المبحث الأول : ماهية الرواية البوليسية 25

المبحث الثاني : نماذج عن شخصيات من رواية الرماد الذي غسل الماء.....29

المبحث الثالث : الملامح والانعكاسات الاجتماعية في الرواية 31

المبحث الرابع : الأبعاد والتجليات السياسية في الرواية 33

- خاتمة 37

-قائمة المصادر و المراجع :.....38

-ملحق رقم 1 39

-ملحق رقم 2 40

-الفهرس :.....41

ملخص :

هيكل رواية (الرماد الذي غسل الماء)تتكون الرواية من 255 صفحة، الصفحات بنفس المسلك غير أننا عثر في هذه الرواية على ورقة بيضاء شاغرة لا تحمل الترقيم التسلسلي للرواية،تقع ما بين الصفحتين 89/87 وحسب ولينا لذلك ربما الكاتب لم يشأ الإفصاح عن الأشياء التي كانت تدور في مخيلته غير أن هذا البياض ورد مرة واحدة ، ولقد عمد الروائي إلى تقسيم روايته إلى أربعة أسفار كل سفر يحمل أحداث خاصة به دون انفصال أحدها عن أخر، ولكن الاختلاف بينهما يكمن في عدد الصفحات، إذ نلاحظ أن السفر الأخير أقل حجما بكثير من الأسفار التي سبقته .

كلمات مفتاحية : الرماد الذي غسل الماء ،جلاوجي ، الرواية الجزائرية ، الواقع الاجتماعي ، الدلالات السياسية .

Summary:

The structure of the novel (The Ashes that Washed the Water) The novel consists of 255 pages, the pages are the same, except that we found in this novel a vacant white paper that does not bear the serial numbering of the novel, located between the two pages 87/89 and it is only for us, so perhaps the writer did not want to disclose things Which was circulating in his mind, except that this whiteness appeared once, and the novelist deliberately divided his novel into four books, each book carrying events of its own without separating one from the other, but the difference between them lies in the number of pages, as we note that the last book is much smaller in size From the travels that preceded him.

Key words :Ashes who washed the water, DJalaouji, the Algerian novel, social reality, political connotations.